نحو أفراح الجنّة

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 15 جمادى الثانية 1434هـ الموافق لـ 26 أفريل 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ أعاذنا الله من الزَّيْغِ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

نحو أفراح الجنّة

معاشر الإخوة الكرام،

لقد وصف الصّالحون لنا الطّريق إلى إرضاء الله تعالى، ولئن كان بعضنا ينسى في ظروف غفلةٍ، فإنّ الله خير الغافرين، وليس للمسلم أن يقعد بعد الذّكرى مع القوم الغافلين، وعنده من فقه السّلف ما يعينه على سلوك سبيل الرّشاد.

إنّ تقوى القلوب هي الّتي تقود تقوى الجوارح، قال تعالى:

" ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿ 32 ﴾ " سورة الحجّ.

{ فالكيّس يقطع من المسافة خادمًا لدين الله بصحّة العزيمة، وعلوّ الهمّة، وتجريد القصد، ونيّة لله تعالى، أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التّعب الكثير والسّفر الشّاقّ، فإنّ العزيمة والمحبّة تُذهب المشقّة، وتطيب السّير والتّقدّم والسّبق إلى الله سبحانه، إنّما هو بالهمم وصدق الرّغبة والعزيمة }، عن الفوائد لإبن القيم.

و ليس الأمر بالهيّن، وإنّما هو حملٌ ثقيلٌ ألقاه الله تعالى على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم وعلى أتباعه وأنصاره:

" إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿ 5 ﴾ " سورة المزمّل.

واعلم أنّ النّفس إن لم تُشْغِلها بالعظائم شغلتك بالصّغائر، وإن لم تعملها في الخير عملت في الشّر.

إنّ في النّفوس ركونًا إلى اللّذيذ والهيّن، ونفورًا من المكروه الشّاقّ، ولذلك قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصّحيح الّذي رواه مسلمٌ، عن أنس رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:

(حُفَّت الجنّة بالمكاره، وحُفَّت النّار بالشّهوات).

علّم نفسك التّحليق تكره الإسفاف، عرّفها العزّ تنفر من الذّل، وأذقها اللّذات الرّوحية العظيمة تحقر اللّذات الحسيّة الصّغيرة.

إنّ محنة المسلم هي غفلته ولهوه وجلوسه فارغًا، وربّما زاد فينفتح له بابٌ من اللّغو بعد اللّهو.

تلك هي المحنة الحقيقيّة الّتي أشار إليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، روى البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال:

(**ما الفقر أخشى عليكم، ولكنّي أخشى أن تُبْسَطَ الدّنيا عليكم، كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**).

إنّ غفلة المسلم محنةٌ، لأنّها صرفته عن نصرٍ ممكنٍ، يحقّقه له الجدّ والعمل الدّائب، وعن أجرٍ وثوابٍ أُخرويٍّ.

إنّ المسلم يجب أن تكون حياته وَقْفًا لله تعالى، تمامًا مثل نُسخةٍ من كتابٍ نافعٍ، حين تُوَقَّفُ لله تعالى وتُوضع في مسجدٍ من مساجد الله عزّ وجلّ، فكلّ مسلمٍ موقوف لله في جزءٍ من أجزاء خدمة دين الله تعالى.

قال الإمام الشّافعي: (**طلب الرّاحة في الدّنيا لا يصحّ لأهل المروءات، فإنّ أحدهم لم يزل تعبانٌ في كلّ زمانٍ**)، وسُئِل الإمام أحمد: (**متى يجد العبد طعم الرّاحة؟**)، قال: (**عند أوّل قدمٍ يضعها في الجنّة**)، عن طبقات الحنابلة.

ولّما تعجّب غافلٌ من باذلٍ عاملٍ في سبيل الله تعالى: (**إلى كم تُتْعِبْ نفسك؟**)، أي لماذا تُتْعِبْ نفسك؟، كان جواب الباذل سريعًا حاسمًا: (**راحتها أُرِيدُ**)، عن الفوائد لإبن القيّم.

هذا هو طريق أهل الهمم العالية، لا يركنون إلى الدّنيا، قد أوقفوا ما أوتوا لله تعالى ولدينه الحنيف:

" **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ 245 ﴾** " سورة البقرة.

هؤلاء ما الّذي رفع هممهم وقوّى عزائمهم، فكثر بذلهم وعطاؤهم، وبذلوا الغالي والنّفيس ، إنّها الجنّة ونعيمها الّتي وصفها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أخرج مسلمٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلّى الله عليه وسلّم:

(**يُنادي منادٍ: إنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وتصحّوا فلا تسقموا أبدًا، وتشبّوا فلا تهرموا وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا**)، فذلك قوله:

" . . . **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ 43 ﴾** " سورة الأعراف.

هؤلاء أرعبهم عذاب الله تعالى فهيّؤوا ما ينقذهم، كيف لا يفعلون ذلك والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخبرهم، روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال :

(**أدنى أهل النّار عذابًا ينتعل بنعليْن من نارٍ، يغلي دماغه منهما من حرارة نعليْه**).

وقد يتساءل الواحد: (**ما هي أكثر الأعمال الّتي توجب عذاب الله تعالى؟، وما هي أهمّ الأعمال الّتي تدخل الجنان؟**).

ظلم النّاس والإعتداء عليهم بأيّ شكلٍ من الأشكال، من أسباب دخول النّيران، ثبت في صحيح مسلمٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، **أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: (أتدرون من المفلس فيكم؟)، قالوا: (من لا درهم له ولا متاع)، قال: (إنّ المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقضي الله من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرح عليه، ثمّ طُرِح في النّار)**.

أمّا صفات الدّاخلين إلى الجنّة، فقد ثبت في الصّحيحين من حديث عمران بن حُصَيْن، **أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: (يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفًا بغير حسابٍ ولا عذابٍ)، قيل: (من هم يا رسول الله؟)، قال: (الّذين لا يسترقون، ولا يكتَوُون ولا يتطيّرون، وعلى ربّهم يتوكّلون)، فقام عكاشة فقال: (يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم)، قال: (أنت منهم)، فقام رجلٌ آخرٌ فقال: (ادع الله أن يجعلني منهم)، قال: (سبقك بها عكاشة)**.

يتّصفون بالصّبر على البلاء، يعتقدون أنّ النّفع والضّرّ بيد الله، ولذلك لا يتطيّرون، ولا يعتمدون ولا يستنصرون إلاّ بالله تعالى في قضاء حوائجهم، معتقدين أن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

عقيدة العلماء، وصبر الأنبياء، وتوكّل الأتقياء.

إخوتي الكرام،

إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بشّر رجالاً بدخول الجنان، فمن هم يا ترى؟ وما هي أعمالهم؟.

ثبت في المسند وسنن التّرمذي بإسنادٍ صحيحٍ، عن عبد الرّحمٰن بن عوف رضي الله عنه، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال:

(أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليٌّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزّبير في الجنّة، وعبد الرّحمٰن بن عوف في الجنّة، وسعد بن أبي وقّاص في الجنّة، وسعيدٌ بن زيدٍ في الجنّة، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة).

1- أمّا أبو بكر رضي الله عنه فهو الّذي أنفق كل ماله في سبيل الله، وكانت نفسه فداءًا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم والإسلام، فقد دخل غار ثورٍ قبل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خشية أن يلحق رسول الله أذى.

2- أمّا عمر رضي الله عنه فأنفق نصف ماله، وهو الباب المغلق في وجه الفتن، حَمَى دولة الإسلام بِعَدْلِهِ وقسطه وحزمه، أغنى السّابقين وأنصف الفقراء، وحاسب أهله قبل محاسبة ولاته.

3- أمّا عثمان رضي الله عنه فهو الصّحابيّ الّذي كان يستحي منه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو الّذي جهّز جيش العسرة، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: **(ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم)**، أمّا عثمان بن عفان، فقد قال عندما أشرف من القهر وهو محصور:

(أنشد بالله من شهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم حراء، إذا اهتزّ الجبل فركضه بقدميه، ثمّ قال: (اسكن حراء، ليس عليك إلاّ نبيٌّ وصِدّيقٌ وشهيدٌ)، وأنا معه، فانتشد له رجالٌ.

أنشد بالله من سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يوم بَيْعَةِ الرِّضوان إذ بعثني إلى المشركين من أهل مكّة، قال: (هذه يدي هذه يد عثمان)، فبايع، فانتشد له رجالٌ.

قال أنشد بالله من سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (من يوسّع لنا بهذا البيت في المسجد ببيتٍ له في الجنّة)، فابتعته من مالي فوسّعتُ به المسجد، فانتشد له رجالٌ.

قال وأنشد بالله من شهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم جيش العُسْرَة، قال: (من ينفق اليوم نفقةً مُتقبّلةً؟)، فجهّزتُ نصف الجيش من مالي، قال فانتشد له رجالٌ.

قال وأنشد بالله من شهد رومة يُباع ماؤها لإبن السّبيل، فابتعتها من مالي فأبحتها لإبن السّبيل، فانتشد له رجالٌ) رواه أحمد.

4- عبد الرّحمٰن بن عوف رضي الله عنه من المبشّرين بالجنّة، كان كلّ أهل المدينة يشتركون معه في ماله، فثلثهم يقرضهم مالاً، والثّلث الآخر يدفع عنه دَيْنَهُ، والثّلث الأخير يعطيه من ماله الخاصّ، أي كلّ النّاس مشاركين معه في المال.

5- أما طلحة بن عبد الله رضي الله عنه في غزوة أُحُدٍ راح يحمي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا رأوا جسمه وجدوا بضع وثلاثين بين ضربةٍ وطعنةٍ.

6- أمّا الزّبير بن العوّام رضي الله عنه في موقعة الجمل ذكّره عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، فقال له: **(يا زبير، ألا تتذكّر قول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، إنّك ستقاتل عليًّا وأنت له ظالمٌ)**، فكان وقّافًا عند شريعة الله، فقال: **(لقد نسيت وقد ذكّرتني فأرجع)**، فرجع في موقعة الجمل و لم يُشارك فيما حصل من الفتنة.

7- أمّا سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، تُخَيِّرُهُ أُمُّهُ بين أن يرجع عن دين محمّدٍ أو أن تقتل نفسها فَيُعَيَّرُ بها، فقال لها لمّا اشتدّ بها الجوع: **(يا أُمّاه، كُلي أو اهلكي، فوالله لو كان لك مائة نَفْسٍ خرجت واحدةً واحدةً، ما رجعت عن دين محمّدٍ)**.

هذا هو اليقين الحقّ، قوّةٌ كقوّة النّخلة المثمرة.

أي والله نخلةٌ في صلابة جذعها في صبرهم وثباتهم أمام الفتن والمحن والشّهوات والإبتلاءات، ونخلةٌ في حلاوة ثمرها بصلاحها وإصلاحها في المجتمع، ونفعها للأمّة ناصحةً، آمرةً بالمعروف، ناهيةً عن المنكر، مؤدّيةً دور الإستخلاف بالحقّ.

8- أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه أمين هذه الأمّة، قال فيه النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: (**لكل أمّة أمينٌ، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح**)، حينما جاءته الرّسالة من عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في غزوة تبوك، وقد عزل خالدًا بن الوليد رضي الله عنه، وأعطى قيادة الجيش أبا عبيدة بن الجرّاح، تماطل أبا عبيدة بن الجرّاح حتى انتهت المعركة، وكان في الجيش و لم يقل أنّه القائد وأن خالدًا أصبح جنديًّا، بل انتظر انتهاء المعركة فأخبر خالدًا أنّ الخليفة عمر قد عزله وجعلنه مكانه، فقال له خالد: (**لِمَا أمهلت كلّ هذا الوقت؟**)، قال: (**ما أحببت أن أكسر حربك، وما للسّلطان خرجنا، وما للدّنيا نعمل، وإنّما نحن إخوةٌ**)، هؤلاء هم الصّحابة رضوان الله عليهم قممٌ عاليةٌ.

9- سعيد بن زيد رضي الله عنه أبوه كان على الحنفيّة الإبراهيميّة، لم يسجد لصنمٍ أبدًا قبل بعثة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وراح يسيح في الأرض ويبحث عن من هو على دين إبراهيم عليه السّلام.

هؤلاء المبشّرون بالجنّة، طاعةٌ لله، قنوتٌ لربّ العالمين، بذلٌ وعطاءٌ، وقوفٌ عند الكتاب والسّنّة، فحباهم الله عزّ وجلّ، ورفع مقاماتهم، وأعلى مكانتهم، ورضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

إخوتي الكرام،

كل هؤلاء جمعوا عقيدةً سليمةً، وطاعةً لله ولرسوله وعبادةً وقنوتًا لله، ونصرةً وحمايةً ودفاعًا عن الدّين، يرجون من ذلك تجارةً لن تبور، كما وصفها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ففي الصّحيحيْن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

(أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً؛ لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرِيحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَلنجُوجُ، أَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا).

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنًـــا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.